

روح المعاني

بسم الله الرحمن الرحيم قال الملأ الذين استكبروا من قومه استئناف مبني على سؤال ينساق إليه المقال كأنه قيل له : فماذا قالوا له عليه السلام بعدما سمعوا منه هذه المواعظ ف قيل : قال أشراف قومه المستكبرون متطاولين عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء بل بالغين من العتو مبلغا عظيما لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا بغضا لكم ودفعنا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار والتأكيد القسمي للمبالغة والاعتناء بالحكم و معك متعلق بالاخراج لا بالأيمان ونسبة الأخراج إليه عليه السلام أولا وإلى المؤمنين ثانيا للتنبيه على أصالته عليه السلام في ذلك وتبعيتهم له فيه وتوسيط النداء باسمه العلي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان وقوله تعالى : أو لتعودن في ملتنا عطف على جواب القسم أي وإني ليكونن أحد الأمرين البتة الاخراج أو العود على أن المقصد الأهم هو العود وإنما ذكر الأول لمجرد القسر والإلجاء كما يفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام بجواب الأخراج والمتبادر من العود الرجوع إلى الحالة الأولى وهذا مما لا يمكن في حق شعيب عليه السلام لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون عما دون الكفر بمراتب نعم هو ممكن في حق من آمن به فاسناده إليه عليه السلام من باب التغليب قيل : وقد غلب عليه المؤمنون هنا كما غلب هو عليهم في الخطاب فيكون في الآية حينئذ تغليبان وقال غير واحد : أن تعود بمعنى تصير كما أثبتته بعض النحاة واللغويين فلا يستدعي العود إلى حالة سابقة وعلى ذلك قوله : فإن لم تك الايام تحسن مرة إلى فقد عادت لهن ذنوب فكأنهم قالوا : لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتصيرن مثلنا فحينئذ لإشكال ولا تغليب وكذا يقال فيما بعد وهو حسن ولا يأباه إذ نجانا الله منها لإحتمال أن يقال بالتغليب فيه أو يقال إن التنجية لايلزم أن تكون بعد الوقوع في المكروه ألا ترى إلى قوله سبحانه : فأنجيناه وأهله وأمثاله .

وقال ابن المنير على إحتمال تسليم استعمال العود بمعنى الرجوع إلى أمر سابق يجب بأنه على نهج قوله تعالى : إني ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات فإن الإخراج يستدعي دخولا سابقا فيما وقع الإخراج منه وهو غير متحقق في المؤمن والكافر الأصليين لكن لما كان الإيمان والكفر من الأفعال الاختيارية التي خلق الله تعالى العبد ميسرا لكل واحد منهما متمكنا منه لو أرادته عبر عن تمكن المؤمن من الكفر ثم عدوله عنه إلى الإيمان اختيارا بالإخراج من الظلمات إلى النور توفيقا من الله تعالى له ولطفًا به وبالعكس في حق الكافر ويأتي نظير

